الشيخ ظاهر العمر الزيداني

فارس بلاد الشام في القرن الثامن عشر

عندما أفرغ (أحمد الدنكزلي) رصاص (طبنجته) في جسم (ظاهر العمر)، ثم استل سيفه واجتز رأسه، لم يكن يعرف أية جريمة اقترفتها يداه الآثمتان، لقد أنهى حياة بطل عظيم من أبطالنا، وحطم أسطورة من أجمل أساطير بلادنا. ودمر فارساً من فرساننا الميامين سطع كالشهاب في سماء (فلسطين) ولم يخر إلى الأرض. إلا بعد أن تألق نوره طيلة نصف قرن من الزمان.

كان القاتل مغربياً من (توهرت) وفد إلى بلاد الشام متعيشاً بعد أن أضناه عمله الشاق كحطاب في بلده. واستقر في خدمة (أحمد الحسين) سيد قلعة (جدين) على سواحل سوريا الجنوبية إلى الشمال من عكا.

وشاء له الحظ أن ينتقل من خدمة (أحمد الحسين) إلى خدمة (ظاهر العمر) يوم استولى (ظاهر) على قلعة (جدين) واستلبها من صاحبها بعد مقتله فقد أعجبته من (الدنكزلي) فتوته فاختاره لنفسه، وعينه آغا على المغاربة الذين جندهم لخدمة سيده الجديد. بعد أن أغدق عليه المال والهدايا والهبات، ورفع قدره. ووفر له الزعامة والجاه، وجعله أحد قادة جيشه، الذي يعتمد عليهم في ساعات الضيق وأخلص (الدنكزلي) لسيده الجديد. وخدمه طيله أيام عزه بشجاعة منقطعة النظير. والتاريخ يذكر له ذلك الإخلاص وتلك الشجاعة، يوم أجبر سادة (جبل عامل) على عقد صلح دائم مع سيده (ظاهر)، وبعد أن كانت الحرب سجالاً بينهما، يوم غافل القوم وهاجم معاقلهم في (تبنين) وهم مشتغلون بالحرب واختطف أولادهم وجاء بهم إلى سيده مأسورين ورهائن، فأشاع بذلك العمل الجريء الذعر في نفوس آبائهم، فهرعوا إلى عقد الصلح.